نظرة إلى الاستعمار الأوروبي الحديث

د. مصطفي علي هويدى ــ جامعة الجبل الغربي

تقديم:

الاستعمار ظاهرة سياسية كانت وما زالت وستستمر، وإن اختلفت صورها في كل مرحلة عن الأخرى، والاستعمار الحديث ظهر أولاً بصورة واضحة في أمريكا الشمالية عندما احتلت إنجلترا أراضي الولايات المتحدة الأمريكية وقام الشعب هناك بحركة مقاومة شديدة استمرت حوالي ثمانية أعوام (1776 – 1783)، كما تحررت المكسيك بعد مقاومة باسلة ضد الاستعمار الإسباني وانتزعت حريتها واستقلت سنة 1864م، وحصل الشعب البرازيلي على حريته واستقلاله عن الاستعمار البرتغالي عام 1861م.... وهكذا بدأت الحركة الاستعمارية.

وفي أفريقيا ظهرت الحركة الاستعمارية في الشمال الأفريقي منذ سنة 1830م في الجزائر ، وفي تونس سنة 1882م، وفي الصومال 1885م، وفي غانا 1874م، وفي غينيا 1885م ، وفي موزمبيق 1891م... وغيرها.

واستمرت الحركة الاستعمارية إلى القرن الواحد والعشرين، وإن اختلفت صورتها وشكلها، إلا أنها لا تختلف عن أهداف ومطامع ومكاسب الاستعمار منذ ظهوره إلى الآن.

لقد كان الاستعمار هو الحبر الذي اختطَّ به الوطنيون تاريخهم الحافل الذي سطروه من نور ونار، وكانت مدته هي العار الذي سيظل ملاحقاً للاستعمار عند كل جيل ودار.

يبدو أن الظاهرة الاستعمارية هي مرض الإنسان الأوروبي الذي يجب أن يشفى منها نهائياً والإقلاع عن التفكير فيها، ذلك أن شفاءه يفترض علاجاً صعباً وأليماً واقتلاعاً عن ظروف معيشته الحاضرة وتغييراً جذرياً لتلك الظروف، وإذا كان الشعب في الدول الاستعمارية يدرك ويعرف أن بلاده تقوم بتهديد دول أخرى تكون فيها ثروات عديدة وهبها الله لها...، ولسان حال هذه الدول الاستعمارية يقول: هذه الثروات يجب أن تكون لنا ولشعوبنا... كيف تقبل تلك الشعوب أن تفعل حكوماتهم مثل هذا التصرف وإن تستخدم منطق القوة بدل قوة المنطق، ما الفرق بين هذه الشعوب وبين

صاحب الأسرة التي يقوم ربها بالنهب والسلب والقتل... لتعيش أسرته في أحسن بحبوحة على حساب غيرها.

إن جميع الشرائع والديانات تنهى عن هذا العمل لفرد أو دولة، والشعب في أوروبا ساكت عن الحق في معظمه، ويعرف أن بعض حكوماتهم تسرق وتنهب وتقتل كل من يعارض سياستهم .

لقد أيقظ الاستعمار بتصرفاته الحديثة في نفوس الشعوب المستعمرة الحمية الوطنية والغيرة القومية والحس والإرادة المحلية، وأصبحت سنواته سجل إدانة عالمية، للدول الاستعمارية ولحضارتها المزيفة التي تميز بين الأديان والبشر (تمييزاً عنصرياً) وتقتل من يعارضها إضافة إلى أنها تنهب وتغدر وتسرق وتمارس ما يحلو لها.

بقى على شعوب أفريقيا وآسيا خاصة أن تستوعب الدرس وأن تستيقظ من سباتها، وتبني نفسها بعيداً عن مصارف الغرب وبنوكه، وأن تعتمد على نفسها وذاتها، وأن تكون صادقة مع نفسها وشعوبها في تنميتها بالعدل والمساواة ومخافة الله تعالى.

لقد حوى التاريخ عبر صفحاته وسنواته المختلفة وبين دفاف كتبه أثراً من أخبار الخلفاء والحكام العرب المسلمين، كانوا أساتذة العالم ومحكمي نظمه وواضعي علومه ومؤسسي تشريعاته وحضارته ومشيدي ممالكه... فلا نهبوا ولا سرقوا ولا غدروا ولا قتلوا... ولقد كان في سيرتهم عبر لأولى الألباب....

مفهوم الاستعمار اللغوي والاصطلاحي :

من المفيد التعرض لظاهرة الاستعمار بالتعريف به لغة ومفهوما ، وذكر أسبابه وتحديد أهدافه وضبط خصائصه ، والنتائج المترتبة عنه ، فمن حيث التعريف بالاستعمار لغة نلاحظ أن كلمة الاستعمار مصدر مشتق من القول استعمرت دولة ما بلاداً غيرها استعماراً؛ أي ملكتها بالقوة والسلاح ، واحتلت أراضيها بالقهر والغضب ، وجعلتها مقراً للكثير من سكانها غصباً ، واستأثرت باستغلال ذخائرها وخيراتها قسراً، وأجبرت شعبها على اتباع سياستها القاهرة المتمثلة في استعباد أهاليها ، وتجميد أفكارهم النيرة ومسخ عاداتهم وأعرافهم النبيلة ، وإفساد أخلاقهم الفاضلة ، ومحو شعائر الديانات المخالفة للمستعمرين قدر الإمكان [1] .

ويعنى بالقول استعمره في المكان؛ أي جعله يعمره أو أذن له في عمارته وقولنا أعمره المكان واستعمره أي جعله يعمره، وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى : (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا..) أي جعلكم عمارها، وأذن لكم في تعميرها [2] .

يتضح لنا مما سبق أن كلمة استعمار بمعناها اللغوي تعني إعمار الأرض وإعدادها للنمو الزراعي وتطويره [3] .

يذكر أبو خليل أن الموسوعة الفرنسية تعترف أن الاستعمار عملية سيطرة يفترض أن يرافقها قيام عمل تحضيري يمارس من قبل المستعمرين [4].

وإذا ما أمعنا التأمل في أصل كلمة استعمار لغوياً نجدها تعني معنى يخالف مفهوم الاستعمار بشكل عام ، ذلك أن فعل عمر أو استعمر بمعنى التعمير ، أي طور تطويراً كمثل قولنا عمر الأرض أي غرسها أشجاراً أو مهدها وطورها بالغرس والتعمير، ومما يذكر أن العرب إلى أيامنا هذه في بعض الأقطار العربية – على الأقل – يطلقون اسم عمار على من يقوم بتعمير واستصلاح الأرض واستغلالها ، وبمعنى آخر الفلاح الذي يفلحها ويعمرها ، وهو عمار العمارين كما يقولون في لبنان مثلا.

والعمر عند الإنسان هو الحياة ، وعكسها الموت ، وتعمير الأرض هو إحياؤها والعكس هو موتها أو إخلاؤها من معمريها .

إن الاستعمار ظاهرة بشرية قديمة ارتبطت منذ القدم بانتقال جماعات بشرية وراء الرزق في أقاليم مختلفة ، واستحواذها أوطاناً بواسطة القوة لذلك فإن بعض القواميس يربط بين القوة وتعريف أو مفهوم الاستعمار كالقول بأن دولة قوية استعمرت دولة ضعيفة ، أي احتلت أراضيها وبسطت عليها سيادتها بالقوة [5].

إن موضوع الاستعمار يحظى باهتمام كبير في دراسة التاريخ المعاصر ، بل وربما يعتبر العمود الأساسي لدراسته ، وذلك راجع لأسباب عديدة لعل أهمها أنه يعد مظهراً عدوانياً متطرفاً من مظاهر التسلح واستخدام القوة وقهر الإرادة الإنسانية من جانب آخر، إضافة إلى أنه يعتبر أحد مظاهر التسلط السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي ... الذي تمارسه دولة أو مجموعة دول على غيرها من أجل سلبها ، وذلك راجع بطبيعة الأمر إلى ارتباط الاستعمار بمظهر القوة ، فالقوة هي أساس الاستعمار ، والاستعمار هو أداة للحصول على المزيد من إمكانيات القوة [6].

فالاستعمار ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية ، متفرعة ومتصلة بظاهرة السيطرة الأجنبية ، تتجسد في قدوم موجات متتالية من مواطنيها إلى المستعمرات بقصد استيطانها والإقامة فيها بشكل دائم ، والهيمنة على الحياة الاقتصادية والثقافية، واستغلال ثروات البلاد ويطلق على أولئك عادة اسم المستعمرين [7].

كما يقصد بالاستعمار قيام دولة ما بفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعوب أجنبية عنها غير راغبة في ذلك ، إلا أن الاحتلال العسكري المؤقت والمتفق بشأنه مسبقاً لا يعتبر استعماراً إذ أنه قد يكون مجرد تدخل عسكري مؤقت نشأ نتيجة لأعمال متصلة بالحرب [8].

وقد اهتمّ العديد من أساتذة التاريخ والسياسة ... بتعرية القناع عن وجه الاستعمار ، وأظهروا حقيقته ، وأوضحوا مفهومه مع ما يتمشى وواقعه وحقيقته ، وإذا رجعنا إلى الأدبيات المعاصرة نجد أن شوقي الجمل يعرفه بأنه العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة ما على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لها أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد [9].

ويرى العقاد أن الاستعمار حركة اجتماعية ترمي إلى غرض مشترك تحقيقاً لدعوة واحدة تدعيها أمم متعددة في فترة محددة لها عواملها وأسبابها التي لم تجتمع قط لحركة جماعية من قبلها، بينما يرى نكروما أن الاستعمار يتمثل في ضم بلاد أو دولة ما لدولة أخرى واستغلالها اقتصادياً ، وهو السياسة التي بها توثق وتقيد الدولة الأم مستعمراتها وتربطها إليها بروابط سياسية، من أجلِ تحقيقِ غرضٍ جوهريٍّ متمثلٍ في تطور مصالحها الاقتصادية الخاصة[10].

أما د. سعد الله فيرى أنه يتمثل في خضوع الإنسان لفرضيات معينة تمل عليه [11].

وهناك من يعرف الاستعمار بأنه حتمية وواقع معيش طالما أن هناك دولاً تملك شيئاً ما، ودولاً قوية لا تملك ذلك الشيء [12] ويعرف البعض الاستعمار بأنه الاستكبار ، أي التكبر والسمو والتعالي عن شعوب المناطق المحتلة، ويشير إلى ذلك " مالك بن نبي " بقوله : " إن الموقف الاستعماري ينشأ كل مرة ينعكس فيها الأنا الأوروبي خارج إطار أوروبا ..." [13].

ويرى " مولود قاسم " أن الاستعمار كلمة تدل في ظاهرها على العمران والإعمار إلا أن باطن حقيقتها لا يمت بصلة إلى ظاهره ، بل إن حقيقته تعكس ذلك

تماماً حتى أن البعض رأى تعريفه بالاستدمار ، وذلك للدلالة على ما عاثه في الأراضي التي حل بها من فساد [14].

ويرى " بوشير " أن الكلمة الأساسية التي اشتق منها اسم الاستعمار تستمد أصلها من كلمة مستعمر التي أخذت عن الأصل اللاتيني (كولوناس Colunus) والكلمة بالمعنى الحرفي تدل على زراعة الأرض وإفلاحها بمقابل من إنتاجها ، وتطور المعنى مع الزمن واتسع مع اتساع الأملاك منذ الحروب البونية ، حيث اشتق من كلمة كولوناس اسم كولونيا Colonia بمعنى مستعمرة ، وقد ظهرت كلمة المستعمر Colon في اللغة الفرنسية منذ القرن الرابع عشر أي خلال الفترة التي سبقت قيام فرنسا بمشاريعها الاستعمارية ، وقد كانت كلمة كولونيا في اللغة اللاتينية تعني مساحة الأرض الزراعية ، وعلى ذلك النحو تولد المعنى الراهن لكلمة مستعمرة[15] بينما يرى الفيلسوف الفرنسي " سارتر " أن الاستعمار ومفهومه العام عند المتخصصين والمثقفين كما تناولناه ، فما هو مفهومه عند الدول الاستعمارية نفسها ؟ وكذلك عند الدول الاشتراكية ، وأيضاً عند الشعوب المستعمرة ؟.

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلب بحوثاً دراسية خاصة ، ونظراً لطبيعة هذا البحث وتماشياً معها فإنني سأختصر الحديث في إجابتي عن هذه التساؤلات .

إن مفهوم الاستعمار عند الدول الاستعمارية يختلف في حقيقته عن مفهومه العام حيث ترى تلك الدول أن الاستعمار رسالة مقدسة من واجبها تبليغها للشعوب المتخلفة ، والعمل على وصول أولئك المتخلفين إلى مراحل حضارية متقدمة، ليواكبوا السير الحضاري العالمي ، ولذلك فقد جاءت أعمال ونتائج مؤتمر برلين سنة 1878م مشجعة للحركة الاستعمارية فقد كان من آثار ذلك المؤتمر سيطرة أوروبا الاستعمارية عالمياً [16].

أما الدول الغربية [17] وهي التي مارس معظمها الحركة الاستعمارية في الفترة الحديثة والمعاصرة ، فإن مفهومها للاستعمار يتلخص في أنها ترى فيه ظاهرة عادية ، على أساس أنه وسيلة لتقدم الشعوب ونشر المد الحضاري ويضيف بعضهم إلى ذلك أنه رسالة خالدة وأمانة مقدسة في عنق تلك المجموعة ، وأن الواجب الإنساني يحتم عليهم تأديتها للشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار ، وقد عبر عن ذلك بوضوح أحد مناصري الاستعمار الأوروبي والداعين له وهو " مرينياك " حيث يقول : " الاستعمار هو الارتباط بأقطار جديدة للانتفاع بثرواتها واستغلالها في مصلحة

الوطن ، وفي الوقت ذاته إعطاء تلك الأقاليم ما هي مفتقرة إليه من ثقافة علمية وأدبية وتجارية وصناعية واجتماعية لأجناس أرقى... " [18].

وأعتقد جازماً أن هذا التعريف رغم ما يشوبه من سلبيات عديدة ، إلا أن المستعمرين لم يقوموا بتطبيقه تطبيقاً أمثل ، وبذلك فإن أقل إيجابياته لم تصل إلى الشعوب المستعمرة [19].

أما الاشتراكيون الين يخالفون الليبراليين الغربيين في وجهات نظرتهم لتطور الاستعمار فهم غالباً ما يركزون فيه على الجانب الاقتصادي ، لذلك فإنهم يرون أن الاستعمار هو تطور الرأسمالية ووصولها إلى أعلى مراحلها الاحتكارية ، أما الشعوب المستعمرة فإنها ترى أن الوجود الأجنبي الدخيل مهما كانت الصفة التي وجد بها في أراضيها يعد اعتداء على سيادتها ، بسبب ما يتضمنه ذلك الوجود من عمليات الظلم والقهر ... إضافة إلى نهب ثرواتها وامتصاص دمائها وتشويه ثقافاتها [20].

هذا وقد تطور مفهوم الاستعمار الأوروبي الحديث تدريجياً ، إذ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لأوروبا الحديثة ، فقد ارتبط بظهور الثورة الصناعية والقضاء على الاقتصاد القديم بمختلف أشكاله تقريباً ، إذ ظهرت المصانع الكبرى وتكدست رؤوس الأموال وبرزت القوة الرأسمالية وبدأ تأثيرها واضحاً في الأوضاع الاقتصادية فالمصانع مثلاً تحتاج إلى المواد الخام ، كما تحتاج لأسواق كثيرة لتصريف إنتاجها المتعدد والغزير ، وأمام هذا المد الحضاري العالمي وتطورات الأمم في سعيها للارتقاء بدأ واضحاً للعيان مظاهر التناقض بين سلوك المستعمرين الأوروبيين وبين مفاهيمهم للثورات الحديثة التي قاموا بها والتي رفعوا فيها شعار الحرية والعدالة لذلك حاولت الدول الاستعمارية تبرير سلوكها الاستعماري وتغطية ذلك التناقض البيّن بإعطاء ذلك السلوك تفسيراً فلسفياً اعتمدته فيما كانت تقدم عليه من عمليات استعمارية [21]، لقد حاولت أن تعطي لذلك السلوك معنى جديداً أسبغت عليه الصفة الإنسانية وهو ما أسموه (بعبء الرجل الأبيض) أو رسالة أوروبا الحضارية نحو العالم المتخلف ، إلا أنها مع ذلك بذرت في الوقت نفسه بذور الشعور بالاستعلاء العنصري الذي يبرر للاستعمار وجوده اللامشروع ، وبتطور الظروف الدولية أصبح الاستعمار يشكل ظاهرة تحاول إعادة صياغة وجودها بشكل يواكب كل العصور [22] .

أما المفهوم الجديد للاستعمار فإنه يتمثل في فرض السيطرة الأجنبية سياسياً واقتصادياً وثقافياً على شعب أو قطر ما مع الاعتراف باستقلاله وسيادته الشكلية وتجنب اعتماد أساليب الاستعمار التقليدية (منطق القوة) ، فقد حلت قوة المنطق الاستعماري محل منطق قوته الاستعمارية وحل سلاح الحوار الاستعماري – أيضاً – محل حوار السلاح ، وهو بذلك يستخدم في تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحاشي المعارضة الشعبية ، أو معارضة الرأي العام العالمي ، وقد وجدت أحسن وسيلة لذلك في عقد الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة ، وتكبيل الدول النامية بشروط تحد من حريتها العامة ، واستغلال المشاكل الاقتصادية والسياسية الخاصة بها لأجل التدخل في شؤونها والضغط عليها من خلال المعونات الاقتصادية والقروض المشروطة ، وإقامة القواعد العسكرية وإثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والإقليمية والعرقية فيها[23].

إن التغلب والتفوق والغزو بأنواعه مبادئ استعمارية وليدة القوة الغاشمة التي تنكر الحقوق الإنسانية الطبيعية ، كما أن الاستعمار مبعث النكبات التي انتشرت وتوالت في العالم ، وهو يناقض ما يدعيه أصحابه بأنهم باستعمارهم إنما يهدفون إلى نشر المدنية ونقل الحضارة الأوروبية الحديثة إلى بقية أصقاع العالم للرفع من مستوى الإنسان وتطويره ، فالاستعمار في حقيقته هو التغلب والقهر والتسلط ، وهو الاستغلال الاقتصادي ، والتعالي الاجتماعي في أجلّ صوره من إذلال وامتهان للشعوب ، وهو في مجمله ممارسات عنصرية تنكرها الأديان والشرائع والدساتير والبشرية جمعاء .

وما أصدق " ايمي سيزاير Aime Cesaire " حين قال : " إن الحضارة آل الأمر بها إلى الانحطاط بدم التقدم نتيجة الاستعمار " [24].

أسباب ودوافع الاستعمار :

كانت وراء حركة الاستعمار الأوروبي الحديث أسباب عديدة يمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً- الدوافع الحضارية وتنقسم بدورها إلى عدة أنواع وهي :

أ- الدافع التاريخي :

تحججت بعض الدول الاستعمارية باحتلالها لبعض المناطق واستعمار شعوبها ؛ لأن تلك المناطق كانت ملكاً لأجدادهم الأقدمين ، بمعنى أنها كانت خاضعة للحكم الروماني ، ودليلهم على ذلك تلك الآثار الحضارية التي خلفها أولئك الأجداد ، وإن ما

يقوم به الاستعمار من سيطرة تامة على تلك المناطق لا يعتبر – في نظرهم – في واقع الأمر إلا استرجاعاً شرعياً لملك كان قد اغتصب وحضارة كانت قد دمرت وقد عبرت عن ذلك بوضوح سياسة وزارة " موليه Mole " الفرنسية سنة 1838م، التي أوضحت بجلاء تام أن فرنسا ستحيي أفريقيا الرومانية [25]. وباختصار فإن الدافع التاريخي كان سبباً قوياً لقيام دول أوروبا الغربية باحتلال العديد من المناطق، كما أن هذا العامل عرف عند العديد من المؤرخين بالماضوية (أي ما يعرف بالماضي القديم) .

ب- الدافع الديني :

ادعت الكثير من الدول الاستعمارية أنها تقوم بضم المناطق إليها سعياً منها لتطوير سكانها ثقافياً ونشر الدين السماوي بينهم بواسطة الحركات التبشيرية ، وقد أكثرت الكتابات عن النظريات الإنسانية والأبوية Paternalisna وعبء الرجل الأبيض white Father أو الأخ الأكبر Elder Brother ، ولكن الواقع أثبت عكس ذلك .

وقد ركز المستعمرون على العاملين الديني والثقافي باعتبارهما يمثلان الشخصية الوطنية والروح القومية والثقافة الأساسية لديانة المناطق المحتلة وقد أصبح واضحاً أن المستعمرين لا يريدون إلا سيطرة ثقافتهم وديانتهم ... ومن أجل ذلك شيدت الكنائس وانتشرت حركات التنصير ، بل وباركت الكنيسة ورجالها الحركة الاستعمارية ، وتبرعت لها بالأموال والإمكانيات ، ويتضح ذلك جلياً في النشيد الإيطالي الذي يحرض أبناء إيطاليا على الذهاب إلى طرابلس الغرب ولنعمق قراءتنا للنشيد :

يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي ، بل أضحكي وتأملي ألا تعلمي أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة [26] ولأحارب الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبكار للسلطان سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن وإن سألك أحد عن عدم حدادك عليّ فأجيبيه أنه مات في محاربة الإسلام [27] إلى هذا الحد كان السبب أو العامل الديني مهماً في ظاهرة الاستعمار [28] .

ج- الدافع القومي :

رأت الدول الأوروبية - الغربية - في كثرة المستعمرات دليلاً على قوة الدولة وعظمتها وارتفاع شأنها ومكانتها ، لذلك فقد استحوذت على مساحات شاسعة وأقطار عديدة حتى قيل عن إحداها وهي المستعمرات الإنجليزية بأنها الإمبراطورية التي لا

تغيب عنها الشمس ، وقد اتخذت بعض الأقطار الأوروبية النهج الاستعماري وسيلة إلى مد آفاق سيطرتها السياسية وصولاً إلى مكانة دولية مرموقة تحقق بها أو عن طريقها مجداً قومياً ، إن ذلك المجد القومي لا يمثل حسب اعتقادنا ومن وجهة نظرنا إلا ظاهرة حب العظمة والسيطرة والتملك وحب الاستحواذ كما كان عليه الحال مثلاً بالنسبة لإيطاليا وفرنسا اللتين كانتا في حالة سكر حتى الثمالة نتيجة خمر العظمة الإمبراطورية ودافع مجدها القومي[29].

ثانياً- الأسباب الاقتصادية وتنقسم بدورها إلى عوامل عديدة لعل أهمها:

أ- تجارة الرقيق :

من أجل البحث عن الأيدي العاملة الرخيصة مارس الأوروبيون تجارة الرقيق منذ نزولهم بأراضي المستعمرات ، وكانت الدفعات الأولى من العبيد الأفارقة قد وصلت إلى العالم الجديد (أمريكا) منذ اكتشافها تقريباً ، حيث وصلت الدفعة الأولى من غانا إلى هاييتي سنة 1510م، واستمرت تجارة الرقيق تنشط وتتنامى حتى أصبح عدد العبيد - الرقيق - في مدينة لشبونة وحدها أكثر من عشر عدد سكانها [30] ، وقد قارب عدد الزنوج الذين تم شراؤهم من أفريقيا العشرين مليوناً تم ترحيلهم إلى أوروبا والولايات المتحدة ، وذلك للعمل في الميادين الصعبة والأعمال القاسية كالمناجم والطرق ... بغية الربح والكسب أولاً ثم لأسباب سياسية فيما بعد [31]. وتواصلت تجارة الرقيق واتسع نطاقها مما جعلها تلعب دوراً مهماً في اتساع دائرة الاستعمار الحديث حيث أصبحت من أسبابه ودوافعه المهمة ، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى وتأليف أو إنشاء عصبة الأمم وقعت الدول الأعضاء يوم السبت الموافق 25 سبتمبر سنة 1926م اتفاقية جنيف التي تقضي قمع تجارة الرقيق وإلغاء الرق بجميع مظاهره وصوره واعتباره جرماً جنائياً ، فتحولت تجارة الرقيق إلى استخدام مفرط لقوة العمل لأبناء الشعوب المستعمرة [32] .

ب- تطور الثورة الصناعية :

كان من نتائج التطور العلمي أن تقدمت النهضة الحضارية والحركة الصناعية التي كانت تقوم على الآلات الحديثة وتهدف إلى الإنتاج الضخم وتنوعه ، وقد كانت إنجلترا سباقة إلى ذلك حيث استغلت تأخر الدول الأوروبية في توزيع إنتاجها الصناعي خارج أراضيها ، ولكن مع إتمام الوحدة الوطنية في كل من ألمانيا وإيطاليا وبحلول سنة 1880م تنبهت الدول الأوروبية إلى ظاهرة تسرب ثرواتها

الاقتصادية إلى إنجلترا بسبب تواجد منتجاتها الصناعية في معظم الأسواق الأوروبية بدون ضرائب اعتماداً على مبدأ " حرية التجارة " إذ سرعان ما فرضت الدول الأوروبية الحواجز الجمركية في وجه الإنتاج الصناعي الإنجليزي ، لذلك رأت إنجلترا أن توسعها في الميدان الاستعماري هو الوسيلة التي تعوضها عن خسارتها في الأسواق الأوروبية ، وقد حذت الكثير من الدول الأوروبية حذو إنجلترا وسارعت في ممارسة ظاهرة الاستعمار.

ج- ارتفاع معدلات الكثافة السكانية :

أدى قانون تطور الحياة إلى زيادة نسبة عدد السكان في أوروبا التي لم تعد تتسع لمعيشة سكانها حسب إدعاء حكوماتها، فكان لا بد من إيجاد أماكن تنزح إليها تلك الزيادة بعد أن عُمِّر العالم الجديد وأقاليم استراليا ونيوزيلاندا ، ففي منتصف القرن الثامن عشر كان تعداد سكان القارة الأوروبية مائة وأربعين مليون نسمة ، وقد ارتفع ذلك العدد خلال سنة 1914م إلى ستمائة وثلاثة وأربعين مليون نسمة [33]. وقد سارع العديد من أولئك الملايين للنزوح من أوروبا بعد تشجيع حكوماتهم التي رأت أن ذلك هو الحل الجذري لمشكلة تزايد وتزاحم السكان إضافة إلى أن أولئك النازحين كانوا سبباً في استعمار تلك المناطق التي نزلوا بها .

د- البحث عن المواد الخام والأسواق :

إن الثورة الصناعية وإنتاجها الضخم في جميع المجالات كانت في أمس الحاجة إلى المواد الخام التي أدى التسابق على كمياتها الكبيرة من قبل المستعمرات - خارج أوروبا - إلى تنامي الحركة الاستعمارية بشكل مهول ، مع أن المستعمرين ينكرون حقيقة هذا السبب ويختفون وراء أسباب أخرى مثل إدعاء فرنسا أن احتلالها للمغرب الأقصى كان للمحافظة على النظام والأمن ، وإدعاء إنجلترا أن احتلالها لمصر كان لمساعدة الخديوي على إخماد حركة التمرد والفوضى ، أو كما ادعت إيطاليا بأن غزوها لليبيا كان من أجل تحرير الليبيين من العسف والظلم والجور العثماني، أو كالادعاء الأوروبي العام القائل إن احتلالنا لأفريقيا وآسيا كان لنشر حضارة الرجل الأبيض ومدنيته [34]. كما أن ازدياد الإنتاج الصناعي الأوروبي أدى إلى تكدس كميات هائلة من ذلك الإنتاج ولم تعد المخازن قادرة على استيعابه ولا الأسواق قادرة على صرفه وبذلك الانكماش الذي أصاب الأسواق الأوروبية ، تعرقلت عملية النمو في القطاعات الصناعية والتجأت إلى طرد أعداد من عمالها ، وكان الحل يتمثل في إيجاد أسواق خارجية لتصريف المنتجات الصناعية ولتوظيف الرأسمال

الفائض وبذلك فقد كان البحث عن أسواق خارجية سبباً من أسباب الاستعمار ، وأصبح شراء المواد الخام بأبخس الأثمان ، كما كان احتكار بيع المواد المصنعة بأعلى الأسعار [35].

وقد فكر الاستعماريون بأن المستعمرات توفر لهم مصادر اقتصادية هائلة ومتنوعة كوفرة العمالة البشرية الرخيصة وتواجد أسواق خارجية رائجة لتصريف الإنتاج [36]، إضافة إلى نزوع بعض الجماعات الأوروبية إلى روح المغامرة والكسب الاقتصادي ، ومن ناحية أخرى فإن الأرباح الصناعية أدت إلى تكدس رؤوس الأموال في المصارف وعند الرأسماليين الصناعيين ، ولم تكن الصناعة تنمو بدرجة تواكب نمو رأس المال ، ولم تستنزف المشاريع الصناعية مكدسات رأس المال الأوروبي، فكان لزاماً أن يبحث الرأسماليون عن أماكن خارج بلادهم لتوظيف أموالهم واستثمارها ، وقد نجحوا في ذلك فقد كانت أرباح رأس المال تبلغ 20٪ في الصين والهند وأفريقيا ، وفي نفس الوقت كانت تبلغ في أوروبا 4٪ ، وقد كان ذلك عاملاً رئيسياً في دفع الدول الأوروبية إلى التنافس والتسابق في الميدان الاستعماري ، وتشير إحصائية إلى الأموال الأوروبية المستثمرة في المستعمرات خلال الفترة 1875 - 1914 بأنها تتوزع كالتالي :

استثمرت إنجلترا أربعة بلايين جنيه ، وفرنسا خمسين بليون فرنك، أما ألمانيا فقد استثمرت ثمانية وعشرين بليون مارك [37] ، وبتوحيد عملية الاستثمار بقيمة الدولار تشير إحصائية أخرى إلى أن نفس الدول وفي نفس الفترة المشار إليها استثمرت الآتي :

أ- إنجلترا عشرون مليار دولار .

ب- فرنسا ثمانية مليار دولار .

ج- ألمانيا ستة مليار دولار [38] .

ويبدو أن رئيس وزراء فرنسا " جول فيري " كان صريحاً وواضحاً في حديثه عندما قال : "إن شعوب أوروبا تطمح في الاستيلاء على المستعمرات لأغراض ثلاثة هي: الرغبة في خاماتها ، ثم الاستحواذ على أسواقها لبيع ما تنتجه من مصنوعات ، وأخيراً لاستثمار رؤوس الأموال الفائضة عندها".

ثالثاً- الأسباب السياسية وتنقسم هذه الأسباب إلى الدوافع التالية :

أ- الدافع الاستراتيجي :

وهو يتمثل في تامين احتياجات الدول الاستعمارية لأهم الثروات كالنفط مثلاً ، وكذلك الطرق والأماكن والمناطق ذات الأهمية العالمية في المواقع الجغرافية المهمة وطرق مواصلاتها، مثل اتخاذ إنجلترا لقواعد بحرية في كل من مضيق جبل طارق ، ومالطا، وقبرص، وقناة السويس ، وعدن ، وسيلان ، وسنغافورة ، ورأس الرجاء الصالح ... وغيرها ، كما اهتمت روسيا بمضيق البسفور والدردنيل ، وكذلك اهتمام أمريكا بجزر البحر الكاريبي ، وجزر المحيط الهادي مثل جزيرة مارشال ، ومريان ، وكارولين ...

ب- الدافع العسكري :

تنافست الدول الاستعمارية فيما بينها على تكوين أكبر الجيوش المسلحة وصرفت عليها المبالغ الطائلة من أجل التوسع الاستعماري الذي كان يشكل مورداً لتلك القوات ، إذ أجبرت الدول الاستعمارية السكان المستعمرين على ضرورة الانخراط في صفوف قواتها العسكرية المسلحة ، والمشاركة معها في عملياتها الحربية ، ولو كانت ضد أبناء وطنهم ، وقد قامت إيطاليا بتجنيد آلاف الليبيين للعمل معها ضد إخوانهم المجاهدين ، كما استطاعت فرنسا أن تجند عشرات الآلاف في تونس ، ومئات الآلاف في الجزائر [39] ، واستطاعت بذلك أن تحقق انتصاراتها في الحربين العالميتين خاصة بفضل المساعدات المادية والبشرية التي حصلت عليها من مستعمراتها المختلفة.

ج- الدافع النفسي :

تذكر النظريات النفسية أن الاستعمار ظاهرة تتصل بالطبيعة الإنسانية وبنفسية البشر منذ القدم ، فالإنسان يميل بطبعه إلى التسلط وإلى استعمال العنف أحياناً والدخول في صراع مع الآخرين ، مثل ما يمجد بني الإنسان الشجاعة ، والروح الحربية القتالية العالية والنصر في المعارك ... ، وكما تحرك تلك الاعتبارات الإنسان بطريقة فردية ، تحرك الدولة كوحدة سياسية، وهي التي تدفعها إلى التوسع والشروع في ظاهرة الاستعمار منذ القدم [40].

نستنتج مما سبق أن العوامل والدوافع السابقة قد شكلت بتداخلها سبباً قوياً ومقنعاً لقيام أوروبا الغربية باحتلال العديد من المناطق من أجل مكاسب وغايات عبر

عنها بوضوح وزير المستعمرات الفرنسي " البرت سارو Albert Sarrau " خلال سنة 1923م حين قال " ما الفائدة في التمويه على الحقيقة ؟ إن الاستعمار في البدء لم يكن عملاً من أعمال المدنية ، أو رغبة في تمدين المستعمرات ، إنما كان عملاً من أعمال القوة دعت إليه المصالح ، إنه حدث مهم في المنافسة الحيوية المتصلة والمتزايدة بين الناس..."[41].

وهكذا عبر الوزير الفرنسي عن حقيقة الاستعمار ، وحقيقة أسبابه وبواعثه ، وهو تعبير في نظرنا يكفي ويجيب عن التساؤلات التي طرحها هذا البحث من الدراسة .

ومن الناحية القانونية نجد أن الاستعمار لا أساس له من الناحية الشرعية لأنه يتنافى مع حقوق الإنسان التي أكدها ميثاق الأمم المتحدة في ديباجته ، كما أكدها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، إذ نصت المادة 31/ 3 على أن إرادة الشعوب هي مصدر سلطة الحكومة ، فاستبعدت بذلك كل صور الحكم القهري بما في ذلك الحكم الاستعماري الذي يتعارض بالطبع مع حق الشعوب في تقرير مصيرها [42]. ورغم ذلك فإن الإرادة الاستعمارية خلال وبعد فترة الحرب العالمية الثانية قد هيمنت على العالم ، حيث نجد أن ثلث مساحة المعمورة يشكل مستعمرات احتلتها دول أوروبا الغربية، كما أن سبعمائة مليون نسمة من سكان العالم البالغ عددهم أكثر من بليوني نسمة ، مستغلون استعمارياً ، ومعنى ذلك أن أكثر من ثلث سكان الكون كان يرزح تحت نير الاستعمار آنذاك ، والجدول الآتي يبين لنا بوضوح صحة هذه الحقائق .

ملحق رقم (1)

الدول الاستعمارية وعدد سكان مستعمراتها [43]

ت	الدول الاستعمارية	عدد سكانها	عدد سكان مستعمراتها
1	إنجلترا	48 مليون نسمة	500 مليون نسمة
2	فرنسا	38 مليون نسمة	70 مليون نسمة
3	هولندا	9 مليون نسمة	70 مليون نسمة
4	اليابان	72 مليون نسمة	30 مليون نسمة
5	بلجيكا	6 مليون نسمة	15 مليون نسمة
6	الولايات المتحدة	131 مليون نسمة	15 مليون نسمة
7	البرتغال	8 مليون نسمة	10 مليون نسمة
8	إسبانيا	26 مليون نسمة	1 مليون نسمة

القارة الأفريقية والاستعمار [44]

المساحة الكلية	عدد السكان	مناطق لم يستول عليها	سكان لم يستول عليهم
11. 5 مليون ميل مربع	135 مليون نسمة	2 مليون نسمة	25 مليون نسمة

ملحق رقم (2)

الحركة الاستعمارية الاستيطانية حتى قيام الحرب العالمية الأولى [45]

ت	اسم الدولة	عدد المستعمرات	عدد سكان الدولة	عدد سكان مستعمراتها
1	إنجلترا	55	46,052,741	391,582,528
2	فرنسا	29	39,602,258	62,350,000
3	ألمانيا	10	64,925,993	13,074,950
4	بلجيكا	1	7,571,387	15,000,000
5	البرتغال	8	5,960,056	9,680,000
6	هولندا	8	6,102,399	37,410,000
7	إيطاليا	4	35,238,997	1,396,176
8	المجموع	115	205,453,831	530,493,654

ويختلف المؤرخون نسبيا في تحديد أرقام حركة الاستيطان الاستعمارية وللدلالة على ذلك نرى ذكر إحصائية أخرى مخالفة قليلا للأولى وهي : [46].

ت	اسم الدولة	عدد سكانها	عدد سكان مستعمراتها
أ	بريطانيا	46,610,000	449,880,000
ب	فرنسا	41,880,000	65,179,090
ج	هولندا	9,190,000	50,970,000

ملحق رقم (3)

جدول يمثل متوسط دخل الفرد في بعض الدول الاستعمارية والأفريقية [47]

((هذه هي رسالة الرجل الأبيض العادلة والمقدسة التي تركها في المستعمرات))

الدول الاستعمارية	الدول الأفريقية	السنة	متوسط الدخل بالدولار الأمريكي
المملكة المتحدة	ـــــ	1967	1560
فرنسا	ـــــ	=	1738
الولايات المتحدة	ـــــ	=	3578
كندا	ـــــ	=	2247
ـــــ	الكونغو	1965	52
ـــــ	غانا	=	198
ـــــ	كينيا	=	107
ـــــ	الملاوي	=	52
ـــــ	المغرب	=	185
ـــــ	جنوب أفريقيا	=	543
ـــــ	تنزانيا	=	62
ـــــ	زامبيا	=	225
ـــــ	مصر	=	156

ملحق رقم (4)

الخسائر البشرية المباشرة الناجمة عن الحروب الاستعمارية [48]

تسلسل	الحرب	التاريخ	عدد الوفيات بالمليون
1)	الحرب العالمية الأولى	1918-1914	7,2
2)	الحرب العالمية الثانية	1945-1939	7,37
3)	الحرب الشيوعية الصينية	1936-1927	6,1

	الأولى		
4)	الحرب في شبه القارة الهندية	1948-1946	5,9
5)	الثورة البلشفية	1920-1918	5,7
6)	الحرب المكسيكية (الثورة)	1930-1910	5,4
7)	حرب استقلال الجزائر	1962-1954	1
8)	حرب استقلال ليبيا	1951-1911	0.75

الملحق رقم (5)

قيمة الاستثمارات الأمريكية وما تحققه من عائدات بالدولار[49]
(التطور الاستعماري)

السنة	القيمة الإجمالية بالمليارات	الدخل للمحول
1919	7	0.54
1930	17,2	0.58
1950	19	1,48
1955	29,14	2,17
1960	50,39	3
1961	55,51	3,56
1962	60,03	3,95
1963	66,51	4,16
1964	75,82	4,93
1965	80,94	5,39
1966	86,5	5,59

ملحق رقم (6)

الاستعمار الأوروبي للأقاليم الأفريقية [50]

إسبانيا	إيطاليا	البرتغال	بريطانيا	بلجيكا	فرنسا
سبتة الصحراء الغربية غينيا الآستوائية مليلة	إثيوبيا إريتريا ليبيا الصومال	أنغولا الرأس الأخضر ساوتومي وبرنسيب غينيا بيساو موزمبيق	أوغندا ،ارتريا بوتسوانا تنزانيا جنوب أفريقيا زمبابوى ، زامبيا السودان سيراليون ، سيشل الصومال ، غامبيا غانا ، الكاميرون كينيا ، ليسوتو مصر ، الملاوي	بوروندي رواندا	أفريقيا الوسطى بنين بوركينا فاسو تشاد ، تونس الجزائر جيبوتي ساحل العاج السنغال الصومال الغابون غينيا الكاميرون الكونغو مدغشقر المغرب موريتانيا موريشيوس النيجر غانا

الهوامش :

1) محمد عبد الكريم الجزائري ، الدعوة الإسلامية والاستعمار والتبشير ، مجلة الثقافة العربية ، العدد 12 ، ديسمبر 1982 ، طرابلس ، ص 58 .

2) سورة هود ، الآية : 61

3) د. شوقي أبو خليل ، تحرير الاستعمار ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،1991م، ص 42 .

4) نفسه ، ص 42 .

5) نظام السخرة / عمل معروف لدى جميع الدول الاستعمارية ، وقد مارسه الاستعمار الإيطالي

في طرابلس الغرب حيث سخر الطرابلسيين بالقوة للقيام بأشق الأعمال ، وكما يقول أحد الفرنسيين فإن ذنب الأفارقة قد تجدد ليس فقط بسبب سلب الأراضي ونهبها وإنما بفرض نظام السخرة التي هي أشد قسوة من العبودية ، أنظر :-

- شارل اندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا ، ترجمة طلعت عوض أباظة ، مراجعة عبد الكريم ماجد، القاهرة : دار نهضة مصر ، 1968م، ص 114 .

6) علي بن هداية ، وآخرون ، القاموس الجديد ، ط 9 ، تونس : الشركة التونسية للتوزيع 1988م، ص 46 .

7) صبري إسماعيل مقلد ، العلاقات السياسية الدولية ، ط 4 ، الكويت : منشورات دار السلاسل 1985م ، ص 546.

8) عبد الوهاب الكيالي ، وآخرون ، موسوعة السياسة ، جـ 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979م ، ص 172 .

9) مثل التواجد الأمريكي العسكري في ألمانيا أو بريطانيا أو اليابان - قواعد عسكرية - أو كما

حدث في الكويت أواخر سنة 1990م حيث تمكنت القوات الأمريكية وأعوانها من السيطرة على الأوضاع هناك .

- شوقي الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا ومستعمراتها ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1971م ، ص 116.

10) عباس محمود العقاد، لاشيوعية ولا استعمار، القاهرة : سلسلة كتاب الهلال ، عدد 80 ،1957م، ص 83 .

- كوامي نكروما ، نحو تحرير المستعمرات ، ترجمة عبد العزيز عتيق ، (د.ن)، 1958م،

ص 48 .

11) أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983م ، ص 175.

12) زاهر رياض ، استعمار أفريقيا ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م، ص 5.

13) مالك بن نبي ، في مهب المعركة ، دمشق : دار الفكر، 1981م ، ص 19 .

14) مولود قاسم نايت بلقاسم ، لمحة عن مجد الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة المتميزة عبر العصور والأعاصير ، مجلة الثقافة ، العدد 85 لسنة 1985م ، الجزائر ، ص 17- 48.

15) غي دي بوشير ، تشريح جثة الاستعمار ، بيروت : دار الآداب، 1967م ، ص 13- 17.

- رياض ، مرجع سابق ، ص 5 .

16) محمد مصطفى صفوت ، مؤتمر برلين 1878 وأثره في البلاد العربية ، القاهرة : معهد الدراسات العربية، 1957م، ص 65 .

17) الدول الغربية ليست فرنسا وإنجلترا وإيطاليا فقط، بل هي معظم كبريات دول القارة الأوروبية رغم أن ألمانيا بقيادة بسمارك كانت ضد الاستعمار ولذلك فقد رفض الأخير جميع مستعمرات فرنسا التي تنازلت عنها له مقابل استرداد الألزاس واللورين ، إلا أنه غير رأيه واقتنع بالحركة الاستعمارية ، للمزيد أنظر :

- محمد محمد صالح ، استعمار أفريقيا وتقسيم القارة الأفريقية في مؤتمر برلين 1884 – 1885م ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 31 لسنة 1987م ، بغداد : الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، ص 123.

18) محمد محمد حسنين ، الاستعمار الفرنسي ، ط 4 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص 78 .

19) لقد صدق كوامي نكروما عندما قال : " يزعم الأوروبيون أن أفريقيا ظلت جامدة خاضعة للركود ولم تدخل مسرح التاريخ إلا بفضل التدخل الأوروبي ، وهكذا فإن تاريخها لا يعتبر في أغلب الأحيان هو امتداداً للتاريخ الأوروبي ، وهذا قول مردود ومرفوض لأنه لا يقوم على أساس علمي .. " .

- مصطفى عبد القادر النجار ، كلمة العدد مجلة المؤرخ العربي ، العدد 31 لسنة 1987م، بغداد : الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، ص 7 .

20) مساعدي عمار ، المسؤولية الدولية للاستعمار الأوروبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد العلوم القانونية والإدارية ، جامعة الجزائر، 1986م ، ص 71 .

- عامر رمضان أبو ضاوية ، دوافع ومبررات الاستعمار القديم ، الاستعمار والفراغ ، بنغازى : منشورات جامعة قاريونس، 1991م، ص 126 .

21) فؤاد الركابي ، القومية حركتها ومحتواها ، القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر 1963م ، ص 35 .

22) مما يوحي بأن ظاهرة الاستعمار قد لا تنتهي في مرحلة معينة ، إضافة إلى أنها لا تختص بعصر من العصور ، ذلك أن الاستعمار كظاهرة قد تتكرر متى توافرت مبررات وجودها ، فالعالم فعلا يكاد يتقلب ولكنه فيما يبدو لن يتغير .

23) عبد الحميد بن خيال ، عوض الحداد ، الاستعمار ومشاكل الحدود السياسية في أفريقيا، من

كتاب الاستعمار والفراغ ، منشورات : جامعة قاريونس، بنغازي، 1991م، ص 378 .

- الكيالي ، مرجع سابق ، ص 176 .

24) أحمد طالب الإبراهيمي ، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية ، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د.ت)، ص 15 .

25) أ.ج. جرانت ، هارولد تمبرلي ، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ترجمة محمد علي أبو دوة ولويس اسكندر ، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم ، جـ 2 ، ط 6 ، القاهرة : مؤسسة سجل العرب، 1976م ، ص 39 .

26) الأمة الملعونة / يقصد بها أمة الإسلام .

27) رضوان أبوشوشة، عند باب البحر ، ط 2، طرابلس : دار الرواد 1992م، ص 111-112.

28) شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، الجزائر : موفم للنشر، 1990م، ص 64 .

29) كثيراً ما تفرز ظاهرة الاستعمار بسبب المجد القومي جنون العظمة وحب السيطرة وهو شعور نلمسه بوضوح منذ انتهاء ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي . أنظر :

- رياض ، مرجع سابق ، ص 17 .

30) جهاد مجيد محي الدين ، تجارة الرقيق في أفريقيا ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 31 لسنة 1987م ، بغداد : الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، ص 81 .

31) شوقي أبو خليل ، مرجع سابق ، ص 72 .

32) مساعدي عمار ، مرجع سابق ، ص 61.

- جهاد مجيد ، مرجع سابق ، ص 86 .

- عامر أبو ضاوية ، مرجع سابق ، ص 125 .

33) أبو الفتوح رضوان ، القومية العربية ، ط 4 ، القاهرة : الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية 1969م ، ص 361 .

34) محمد حافظ غانم ، الاستعمار القديم والجديد في القانون الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، عدد 2 ديسمبر 1965 ، القاهرة : مؤسسة الأهرام ، ص 78 .

- المركز العالمي للدراسات والأبحاث ، الاستعمار من منظور جماهيري ، جـ 3 ، طرابلس 1988م، ص 9.

35) عبد العظيم رمضان ، الغزوة الاستعمارية في العالم العربي وحركات المقاومة ، القاهرة (د.ن)، 1985م، ص 10 .

36) الكسندر كود اتشنكو ، استراتيجية الغرب الاستعمارية الجديدة ، تعريب شبيب بيضون ، بيروت : دار الفارابي ،1979م، ص 11- 15.

- مع ملاحظة أن بعض الدول الأوروبية الاستعمارية لم تكن لديها فائض في الإنتاج الصناعي لتصديره إلى أسواق خارجية مثل إيطاليا، روسيا ... ومع ذلك فقد ساهمت الدولتان في الحركة الاستعمارية . للمزيد أنظر :-

- د. محمد محمد صالح ، مرجع سابق ، ص 122 .

37) رضوان ، مرجع سابق ، ص 360 .

38) إبراهيم شحاته حسن ، نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية ، الإسكندرية : منشأة المعارف، 1982م ، ص 113 .

39) مختار فيلالي ، فرنسا وأساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة الجزائرية ، مجلة التراث ، ، عدد 5 ، فبراير 1992م ، باتنة ، جمعية التأريخ والتراث الأثري ، ص 50 .

- أنور الجندي ، العالم الإسلامي والاستعمار ، القاهرة : مطبعة الرسالة (1958)، ص 52 .

- د. أبو القاسم سعد الله ، محاضرة افتتاح العام الدراسي الجامعي (أكتوبر، 92/ 1993) بعنوان " الأمير علي بن عبد القادر الجزائري " معهد التاريخ و بوزريعة ، الجزائر

- حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ط5 ، تونس : الدار التونسية للنشر، 1976م، ص 221 .

40) غانم ، مرجع سابق ، ص 80 .

يؤيد هذا الرأي تلك الأعمال الوحشية والإجرامية غير الإنسانية التي ارتكبها جنود وضباط الدول الاستعمارية ضد أبناء المناطق المحتلة مثل : ليبيا ، الجزائر ... خاصة بعد تثبيت سيادة المستعمرين هناك ، والسبب فيما يبدو - في ذلك كله - هو الناحية النفسية بإرضاء الذات البشرية الظالمة . أما بدايات الاستعمار كظاهرة قديمة منذ الأزل تقريبا :

1) الاستعمار الروماني 30 ق.م. 641 م .

2) الاستعمار الصليبي 1097 م . 1291 م .

3) الاستعمار التجاري الأوروبي 1498 م . 1700 م .

4) الاستعمار الأنجلو فرنسي 1798 م. 1807 م .

5) الاستعمار الأوروبي الحديث 1830م . ـــــ

41) شوقي الجمل ، مرجع سابق ، ص 145.

42) محمد حسنين ، مرجع سابق ، ص 78 وما بعدها .

43) أبو الفتوح رضوان ، مرجع سابق ، ص 320 .

44) منصور عمر الشتيوي ، الغزو الإيطالي لليبيا ، طرابلس : مؤسسة الفرجاني، 1970 ، ص 21 .

- راشد البراوي، العلاقات السياسية الدولية، ط 2 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1982، ص 114-115.

45) محمد كمال دسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة : دار الثقافة، 1976، ص 268.

46) محمد حسنين، مرجع سابق، ص 14.

47) والتر رودني ، أوروبا والتخلف في أفريقيا ، ترجمة أحمد القصير ، مراجعة إبراهيم عثمان، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت (132) ص 30 .

48) عاطف علبي ، الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1989 ، ص 67 .

49) د. سامي منصور ، أقنعة الاستعمار الأمريكي ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1967 ، ص 76 .

50) البراوي، مرجع سابق، ص114-115.